الاتجاهات الدينية للحركة الوطنية الجزائرية في كتابات أبي القاسم سعد الله

د./ قـــنانـــش محمد

المركز الجامعي عيـــن تموشنت

ورثت الجزائر بعد الاستقلال نخب واعية من العقول النيرة الخفاقة و من المواهب و الكفاءات الخلاقة ، استطاع أن يتتلمذ على يدها و علمها و سيرتها جيل الجزائر الحرة مطلع الستينيات و السبعينيات . فكانت تلك النخب المثقفة وقتها القاطرة المسيرة و القوة المحركة للنهضة الثقافية و الفكرية و التاريخية في مجال التعليم و التكوين و التأهيل لدى الطلاب الجزائريين . من هنا بدأت ملاح المدرسة الجزائرية ذات البعدين الوطني و الحضاري .

من الوجوه المشرقة التي مثّلت الرّعيل الأول للمدرسة الجزائرية عشية الاستقلال ، يقودنا الحديث إلى ذكر بعض الرموز الوطنية الشامخة من أمثال الشيخ البشير الإبراهيمي ، محمد مبارك الميلي ، أحمد توفيق المدني ، الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ، مولود قاسم ، عبد الرزاق قسّوم و يحي بوعزيز و غيرهم من الأهرامات الفكرية . و في هذا الشأن ، يأتي أبو القاسم سعد الله ليفرض مكانته المرموقة ضمن أسماء كوكبة المثقفين التي تمّ ذكرها .

وممّا لاشك فيه ، أن أبي القاسم سعد نظرا لمنزلته العلمية و طاقاته الإبداعية ، يتصدّر طليعة المدرسة التاريخية باعتباره شيخ المؤرخين ، و يرجع الفضل في تبوّئه هذه المرتبة العليا إلى عدّة اعتبارات و دلالات ، أهمّها خصوبة فكره و أكاديمية أعماله و نزاهة مواقفه و نبل خلقه و عظيم تواضعه و طهارة وطنيته . فشمائل الرجل ، كانت له المؤهّلات الحقيقية لشخصيته الفكرية و

التاريخية و الأدبية القادرة على قيادة يقظة الفكر و نهضة العصر ليؤسّس أبو القاسم غداة الاستقلال إلى يوم التحاقه برفيقه الأعلى ، اللبنات الأولى للمدرسة التاريخية في الجزائر المستقلة .

فأبو القاسم سعد الله المدرسة و الفكر الخلاق و الأديب المبدع ، نحاول أن نقتفي من موسوعته المعرفية ما أنتجه عن تاريخ الجزائر الحديث ، و تحديدا رؤيته الأكاديمية للمنطلقات الإيديولوجية لدى حركة الوطنية الجزائرية .

فما هي يا ترى المنطلقات الإيديولوجية التي جاءت بها المدرسة التاريخية لأبي القاسم سعد الله ؟ ما هي أصولها و فروعها و توجهاتها ؟ ما وزن إسهامات نخبها الوطنية في المسيرة العلمية التاريخية ؟

1 . أبو القاسم سعد الله الشخصية الوطنية المتميزة : الواجب يقتضي منا التعرّض إلى هذه الشخصية الفذّة " أبو القاسم سعد الله " الشخصية الوطنية المبدعة ، له شأن كبير في تأسيس المدرسة لتاريخية الجزائرية بعد استرجاع الجزائر لسيادتها الوطنية سنة 1962 . يعود الفضل إلى ما جادت به سنة 1930 بمولد شيخ المؤرخين أبي القاسم سعد الله في بلدة " قمار " ولاية واد سوف ، أين حفظ القرآن الكريم و نهل من عيون المعرفة مبادئ اللغة و أصول الفقه و الدين . إنه الرجل الموسوعي ذي الشخصية المتميزة من أهل الفكر الأبرز على الصعيدين الوطني و الإقليمي اخترق نجمه الأفق المعرفي ، بازغا محلّقا في سماء الكوكب الأرضي و متلألئا وهّاجا في رحاب الفضاء الكوني .

تبوّأ مكانته المرموقة ضمن أعلام الإنتاج الفكري و الإصلاح الاجتماعي ، بحيث تلقى تكوينا علميا متكاملا قائما على أسس معرفية صلبة ، أهّلته ليكون مؤرخا و مفكرا و أديبا . نال أبو القاسم سعد كفاءته العلمية بصلابة إرادته و

جسامة تضحياته ، خلال سفريته العلمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية أين تحصل على شهادة الدكتوراة
من جامعة منيسوتا ، تم انتقل إلى كلية دار العلوم بالقاهرة .[1] سمح له تكوينه العلمي أن يتخصّص في رحاب التاريخ ، فاتجه ميوله نحو تاريخ أوربا و المغرب العربي في الحديث و المعاصر ، و تاريخ النهضة الإسلامية الحديثة .
تقلّد عدّة وظائف في التعليم العالي ، ليصبح المؤرخ المفكر ، سفيرا للجزائر في الحقل المعرفي عبر جامعات الوطن العربي و العالم الغربي . في البداية ، اشتغل بجامعة الجزائر أستاذا مشاركا في التاريخ منذ سنة 1967 ليرتقي في عام 1971 إلى أستاذ في التاريخ و رئيسا لقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الجزائر .[2]
درّس في جامعات الولايات المتحدة الأمريكية ، بحيث كان أستاذا مساعدا في التاريخ بجامعة وايسكنسين و أوكلير من 1960 إلى 1976 و جامعة متشيغان بإقليم البحيرات الكبرى من 1987 إلى 1988 .

أمّا في الوطن العربي ، فقد كان ممثلا متميزا للجزائر في مجال التعليم العالي ، مشرفا على تدريس مادة التاريخ بجامعة عين الشمس بمصر عام 1976 ، و جامعة دمشق عام 1977 و جامعة الملك عبد العزيز في المملكة العربية السعودية عام 1985 ، و جامعة آل البيت بالأردن عام 1996 . و قد كان أيضا أستاذا زائرا بجامعة مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية ، بقسم التاريخ طوال سنوات 1994 ، 1996 و 2001 .

خاض شيخ المؤرخين معارك مريرة و شاقة في مراحل تكوّنه و تعلّمه ، فكانت مسيرة في الشأن محفوفة بالصبر و التحدّي و مفارقة الوطن و الأهل ، جعلت منه تلك الظروف الرجل الفحل المبدع ، الشغوف و التواق إلى العلم و المعرفة ، لأن طالب العلم في نظره ، عليه أن يتجاوز حدود التعب و حنين البعد عن الديار و

الأمصار، فأهّله ذلك الإيمان ليظل المغامر الناجح و المثابر الصالح في تكوين نفسه و رفع قدره و قدر وطنه . و الجزائر تعيش سنواتها الأخيرة من ثورتها المظفرة ، سجّل أبو القاسم سعد الله سنة 1960 مذكرته في الماجستير، عن الشاعر محمد العيد آل خليفة بعنوان : " محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث " ، فشاء القدر أن لا يناقش الرسالة و توجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تحصل على منحة الدراسة من قبل قيادة جبهة التحرير الوطني . [3] حوّلته تلك الرحلة العلمية إلى رجل جهاد و علم ، طالبا للمعرفة و ممثلا للجزائر الثائرة على المحتل الغاشم .

عاد سعد الله إلى أرض الوطن ، ليشتغل أستاذ قسم التاريخ بجامعة الجزائر بعد أن نال شهادتي الماجستير عام 1962 و الدكتوراة عام 1965 من جامعة مينيسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية . [4]

منذ السنوات الأولى من فجر الاستقلال و الوطن ما يزال يضمد جراح الحرب و ويلات المستعمر، استقر أبو القاسم في الجزائر، معترضا على البقاء و الإقامة في فيافي الغربة و أهوالها ، مواصلا رسالة جهاده الفكري و التربوي ، مساهما بكل جهوده في تحقيق تطلّعات الأمة و إنجاح طموحات مسيرتها الثقافية و أهداف ثورتها التحريرية المباركة . لذلك أنكبّ عمله في الجامعة على التدريس ، حيث كلّف بتلقين العلوم لطلبته فيما يتعلّق 22 تخصّصا عبر مشواره التعليمي ، خصّ التاريخ الوطني و الأوربي ، و ميادين الحضارة و التراث الفكري الإسلامي .

شملت المواد و المواضيع التي عكف شيخ المؤرخين على تعليمها لطلابه ، التاريخ المعاصر للعالم الإسلامي فيما بين القرنين السادس عشر و التاسع عشر، تاريخ الأوقاف و النظم ، انتشار الإسلام في الوقت الحاضر، تاريخ العالم

المعاصر ، تاريخ أوربا الحديث ، تاريخ أوربا في عصر النهضة ، التغلغل الأوربي في العالم الإسلامي الحديث، الحركات التحررية و الإصلاحية في العالم الإسلامي الحديث ، النهضة الإسلامية الحديثة فيما بين 1800 و 1924 و الفرق المذهبية الإسلامية ، و مناهج البحث الحديث في التاريخ . [5]

زيادة عن مهنيته المعرفية في التعليم الجامعي ، رحلاته العلمية داخل الوطن و في الخارج بحيث تشهد له انجازاته الفكرية بمحاضراته و مشاركاته في المؤتمرات و الملتقيات العربية و الدولية على غزارة إنتاجه و موسوعية فكره .

و في هذا الصدد ، تشير المعطيات الإحصائية إلى 43 مشاركة علمية لأبي القاسم سعد في الملتقيات الوطنية و العربية و العالمية ، تضمنت العديد المحاضرات التي ألقاها شيخ المؤرخين في جامعات المغرب العربي و الشرق الأوسط و في المؤسّسات الجامعية بالولايات المتحدة الأمريكية .

لم يتوان أبو القاسم عن نضاله الفكري و الثورة التحريرية بانتصاراتها تسقط الحكومات الفرنسية الأولى تلو الأخرى ، مشهرا سلاح قلمه الثائر يدوي في وجه المستعمر الفرنسي الجائر ، معرّفا بما يحدث في الجزائر ، لا يخرج عن نطاق شعب عشق التضحية ، يتطلّع إلى شمس الحرية و هو يكافح المحتل بوعي و روية من أجل جزائر حرّة عربية . أول محاضرة ألقاها سعد الله ، كانت في يوم 31 أكتوبر نوفمبر 1957 ، في نادي طلبة المغرب العربي بالقاهرة ، بعنوان : " الثورة الجزائرية في ذكراها الثالثة " نسرد بعض ما جاء في بداية المحاضرة : " أيها الإخوة عندما نحتفل اليوم بذكرى ثورة الجزائر ، لا نحتفل بها كجزائريين ، و لا كمغاربة و إنّما نحتفل بها كعرب يؤمنون بعدوّ واحد و هدف واحد و وطن واحد ، إنما نحتفل بها كعرب لأن الثورة في الجزائر نابعة من قلوب الملايين العربية المتمرّدة ، معبّرة عن آمالها في الوحدة و التحرّر ،

مجسّمة للإرادة العربية التي لا تقهر مهما طالت بها السنون و تكاثفت حولها السحب ... " [6] و المحاضرة الثانية في جامعة الجزائر عام 1966 ، بعنوان " الجزائر و القومية العربية " ، و الندوة الفكرية عن " الثورة في العالم الثالث ، بجامعة وايسكنسين بعام 1967 بالولايات المتحدة الأمريكية . [7]

لم تتوقف حركة الإبداع و التأليف عند أبي القاسم سعد الله ، مند أن انطلق فيها فترة الخمسينيات و الثورة تعيش سنوات الدعم و الحسم . أنتج فكره الموسوعي مند نهاية خمسينية القرن الماضي إلى مطلع الألفية الثانية العديد من المقالات و الندوات و المداخلات و المحاضرات في ملتقيات و مؤتمرات محلية و إقليمية و دولية تفرّعت مواضيعها حول الفكر الإنساني و التاريخ الوطني و الإسلامي ، و الإنتاج الأدبي من شعر و نثر و قصص و مسارح أهّلته أن يغدو الرجل بلا منازع المفكر و المؤرخ و الأديب الموسوعي ، الذي أغنى وطنه و أشرق فجره و شرّف عصره .

كل هذه الخصائص و الخصال العلمية و الأدبية ، جعلت من أبي القاسم سعد الله الشخصية العلمية و التاريخية و الأدبية المتميزة في الجزائر المستقلة . طوال مشواره العلمي و المهني ، أنتج سعد الله أكثر من 100 مقال في شتى المواضيع ، من بحوث و تراجم و دراسات علمية و تاريخية مختلفة و قضايا متنوعة ، اجتهد فيها و أبدع إلى حدّ كبير أبهر مفكري عصره ، بحيث اخترق سيطه فضاء الجزائر و حدود الوطن العربي و الإسلامي . لقد استطاع أن يخلّد وجوده العلمي في الكثير من الجامعات و المنتديات و الندوات داخل الوطن و في الدول العربية و الغربية .

العربي في عشرة مجلدات أو أجزاء ، بمجموع 5071 صفحة ، و موسوعته الثانية " أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر " الموزّعة في خمسة مجلّدات بمجموع 1675 صفحة ، و موسوعته الثالثة هي رسالته للدكتوراة ، عنوانها " الحركة الوطنية الجزائرية " بمجلّداتها الأربعة و تعداد صفحاتها 1880 صفحة .

فضلا عن كتبه الأخرى التي زادت عن 40 مؤلفا ، اشتملت على التراجم و الدراسات المختلفة و التحقيق و الإبداع الأدبي بمختلف ضروبه .[9]

ما تمّ ذكره ، شهادة إثبات بأن شيخ المؤرخين مدرسة تاريخية وطنية بكل المقاييس ، إذ أنه اجتمعت في خصاله العلمية أربعة صفات انصهرت في كيانه و استقرّت في وجدانه ، فأزهرت حقله و أنارت عقله . و هذه الخصال هي بالأساس ، صفة " سعد الله المؤرخ ، الأديب ، الناقد ، و المنظّر " . لقد عبّر أبو القاسم سعد الله عن مفاهيمه و مواقفه من الحركة الوطنية الجزائرية في العديد من مؤلفاته و كتاباته ، غير أنّنا سنحاول إبراز ذلك من خلال بعض المحاضرات التي ألقاها أبو القاسم في الملتقى الوطني الأول لكتابة تاريخ الثورة الجزائرية عام 1981 .

يحاول أبو القاسم سعد الله إيضاح مفاهيمه و تأسيس موقفه من الحركة الوطنية ، انطلاقا من الاتجاهات الفكرية و الثقافية التي ميزت مسيرة النضال الوطني التحرّري في الجزائر ما قبل الاستقلال ، و بالتحديد فترة العشر سنوات السابقة للثورة . اشتملت الحركة الوطنية فكريا و ثقافيا على ثلاث اتجاهات ، هي في الأصل الاتجاهات الدينية و الاتجاهات السياسية ، و الاتجاهات الثقافية .[10]

المعروف أن الحركة الوطنية تعني في حدّ ذاتها مجموعة ردود الفعل الوطنية الجزائرية ضدّ سياسة المستعمر الفرنسي انطلقت مند أن وطأت أقدام المحتل أرض الجزائر الحرّة . و لذلك في البداية يوضّح سعد الله مفهومه لهذه المرحلة أن بداية النضال الوطني التحرّري كان منصبا على دحر المستعمر و تخليص البلاد منه . ذلك أن الحركة الوطنية الجزائرية كانت بالدرجة الأولى سياسية تقوم على مقاومة المستعمر بالسلاح أولا ، خصوصا خلال القرن التاسع عشر ، ثمّ لجأت إلى العمل السياسي المنظم في شكل أحزاب و هيئات ، سواء كان التنظيم السياسي في الجزائر أو في فرنسا نفسها ، فإن محتواه الفكري و الثقافي كان ضعيفا إن لم يكن معدوما . [11] فأبو القاسم سعد الله ، يلغي أية علاقة بين الدافع الفكري و نظيره السياسي التحرّري في هذه الفترة بالذات ، ممّا يرجح القول أن إرادة التحرّر لدى الجزائريين في بداية الاحتلال نابعة من صميم طاقتهم الفطرية التلقائية الخالية من أية ثقافة سياسية أو فكرية .

3 . الاتجاهات الدينية : إن ّ الفجوة الفكرية و الثقافية الحاصلة في بداية نشاط الحركة الوطنية الجزائرية في أوائل القرن التاسع عشر لا يراها أبو القاسم سعد الله معوّقا للنضال الوطني التحرّري فحسب ، بل يفسّرها بيقظة الوعي الشعبي المبكّر و الملامح التي ستنضج نهضة سياسية تأخذ في مداها القريب الجوانب الفكرية و السياسية مع مرّ الزمن و تدفع شرائح المجتمع الجزائري و نخبه للتفاعل مع النظام الاستعماري ، بغاية رصّ صفوف المقاومة الشعبية التحرّرية تحت راية الجهاد . فالاتجاهات الدينية هي في حدّ ذاتها إحدى الروافد المغذّية للنضال الوطني التحرّري حسب أبي القاسم سعد الله . اتّسم نشاط التيارات الدينية على مدى القرن التاسع عشر بتعميق مسيرة الوعظ الديني الرامي إلى غرس محبة الوطن في وجدان الأمة انطلاقا من الذود على قيم

الإسلام و مثل المجتمع بغاية مواجهة تداعيات الغزو الاستعماري و ما رفقه من تجهيل و تفقير و تبشير الموجه بالأساس إلى تقويض مقوّمات المجتمع الأهلي . حمل رسالة التغيير و الإرشاد و التوعية رجال من النخب التقليدية ، لهم باع في مجال الفقه و التعليم و القضاء ، يتقدّمهم عبد القادر المجاوي و مولود بن الموهوب و بن عثمان خوجة ، الذين يعود لهم الفضل في بلورة برنامج الاتجاهات الدينية طوال القرن التاسع عشر . و حسب سعد الله ، فإن نشاط هؤلاء الرجال تمثل أصلا في جهودهم الفردية بإلقائهم للدروس الدينية من فقه و تفسير و تعليم داخل المساجد و المدارس القرآنية .

لقد كان هؤلاء الرجال مركز إشعاع فكري و أدبي بكتاباتهم الفقهية و إنتاجا تهم الأدبية تمكّنوا من خلالها التصدّي للمدرسة الاستعمارية التي كان أصحابها يروّجون بأفكارهم شرعية و مشروعية الغزو الفرنسي الجزائر مطلع القرن التاسع عشر. استطاعت هذه النخبة من المثقفين الجزائريين من الرّد على دعاة الفكر الكولونيالي و منهم ألكسيس طوكفيل و ألفونس دي لامارتين و جول فيري و غيرهم من ذوي النزعة الاستعمارية الفرنسية .

حاولت الإدارة الفرنسية في بداية الاحتلال توظيف كل أدوات السيطرة على المستعمرة بأقل التكاليف بغرض استكمال مخطط الغزو في ظروف هادئة . و لذلك شجّعت الاستيطان بشكليه الرّسمي و الحرّ ، و انتهاجها لسياسة التبشير و التمييز و التفقير . إلا أن المستعمر لم يجد الوضع كما تصوّره دعاته ، و جاء الرّد مباشرا و موحّدا من قبل الجزائريين مند بداية الاحتلال إلى متمّ القرن التاسع عشر . في هذا المضمار ،كان المحرّك القوي في هذا الشأن هو الوازع الديني الذي حملت لواءه النخب الدينية و ثقافتها المحافظة ، فأسهمت في إشعال لهيب المقاومة المسلّحة .

تمثل النخب الدينية توجّهات نضالية و إصلاحية ، غذّت الحركة الوطنية و كانت منطلق المقاومات الشعبية إبان القرن التاسع عشر ، تنقسم حسب رأي شيخ المؤرخين أبي القاسم سعد الله إلى ثلاثة تيارات تحرّرية رئيسية :

التيار التقليدي : يحصره شيخ المؤرّخين في موقف رجال الدين من الاستعمار سلبا و إيجابا ، فنراه يصف الدور الايجابي لأصحاب التيار التقليدي بمصطلح " الإسلام المجاهد " . [12] يتجلّى هذا الموقف في مسيرة الجهاد التي قادها رجال الطرق الصوفية من المرابطين أمثال لالة فاطمة نسومر ، الشيخ ابن الحداد ، الشيخ بوعمامة ، على امتداد مرتفعات الإقليمين التلّي و الصحراوي ، فكانت بالفعل بطونا للكفاح و حصونا للمقاومات الشعبية على مدى أزيد من خمس عقود من زمن القرن التاسع عشر . لقد حمل قادة الإسلام الجهادي لواء المقاومة الشعبية برفع السلاح في وجه المستعمر الفرنسي و قواته الغازية ، محاولة منهم تطهير الوطن من وطأة الكافر .

فالدور الأكبر في المقاومة الوطنية العسكرية و الفكرية في بدايتها ، كان على عاتق هؤلاء الرجال ، من ا لزوايا التي كانت وراء كل الثورات و الانتفاضات . [13] و تكفي الإشارة هنا إلى الطريقة الرحمانية و القادرية و الدرقاوية التي لعبت دور ا مؤثرا في المقاومات الشعبية ضدّ الغاصب الفرنسي . لهذا ، فأغلب الذين رفعوا السلاح ضدّ الفرنسيين كانوا شيوخا أسندوا ظهورهم إلى مقدّمين لطرق معينة خاصة الرحمانية و القادرية ، مثل الشيخ مولاي أحمد في منطقة الشرق الجزائري . [14] نظرا لدورها المتصاعد في دعم وتيرة المقاومة مند بداية الاحتلال ، ازداد عدد مريدي الطرق الصوفية ، لأنها على رأي سعد الله ، حاملة لواء الإسلام المجاهد . و لهذا الغرض ، تحوّلت حركة الزوايا إلى قواعد شعبية للمقاومة التحرّرية أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر . لذلك ، تشير إحصائيات

عام 1851 في قطاع الشرق الجزائري إلى تسجيل 67.13 ألف مريدا للطريقة الرحمانية ، 15.64 ألف مريدا للطريقة الطيبية و 8.34 ألف مريدا للطريقة القادرية ، و 4.95 ألف مريدا للطريقة التيجانية ، و 1.17 ألف مريدا للطريقة الحنصالية . [15] خلقت هذه الإيجابية في الذهنية الاستعمارية مشاعر التعجّب و الذهول ، لمّا رأت فرنسا في التيار التقليدي المجاهد عزيمة تصفية المستعمر ، فأدركت أهميته في المقاومة ، و راحت تعمل بشتى الوسائل على تقويضه و إبادته بأساليب متعدّدة كتدجين قادته ، و ترهيب أتباعه . في هذا الصدد ، يقول سعد الله : " عمد المستعمرون إلى تفتيت القيادة الواحدة في الأسرة الدينية الواحدة ، فجعلوا الابن ضدّ أبيه ، و الأخ ضدّ أخيه ، و المقدّم ضدّ شيخه ، و ربطوا كل واحد منهم بمصلحة أو وظيفة ، فجعلوا بعض المرابطين قيادا ، و وضعوا حوله العيون و أحاطوا البعض الآخر بالأبّهة ، و وصل بهم الأمر أن زوّجوه من فرنسيات ، غير أن بعضهم حرموه و اتهموه و هكذا ضاع السّر الذي كان أصحاب هذا الاتجاه يتمتّعون به عند الشعب . " [16]

و في المقابل ، عزّز النظام الاستعماري علاقته من التيار الثاني ، الممثل في الإسلام السكوني على حدّ تعبير أبي القاسم سعد الله ، الذي يعكس الوجه الآخر للتيار التقليدي . يمثل الموقف السكوني بعض الفرق من رجال الطرق الصوفية و بالأخص بعض فروع الطريقة التيجانية و الطريقة الرحمانية و الدرقاوية . و يرى سعد الله في أمر هذه الحركات الصوفية ، أنها لم تساهم إسهاما مباشرا في المقاومة . [17] و هذا يعني أنها وقفت موقف المؤيد أو المدافع عن مصالحها على حساب المسألة الوطنية ، ممّا يسّر على المحتل في بداية الاحتلال أن يتخذها حليفا طبيعيا له في ضرب الحركات الصوفية الأخرى الدّاعمة لروح المقاومة . و لذلك يكون قد نجح المستعمر في تشويه الاتجاه الصوفي و تفكيكه إلى نقيضين

، بحيث تحوّل ما يوصف بالإسلام السكوني إلى " مهزلة " عندما ضاع سرّ تلك الفروع ، فزالت الهيبة في أعين الناس ، و غذت كلمة " المرابط" عشية اندلاع الكفاح المسلّح مرادفة لعبارات التخريف ، الدّجل و التخلّف بعدما كانت سلوكا و أسوة يقتدى به في التديّن و الوعي و التحرّر و الجهاد .

التيار المعتدل : من الطبيعي أن العاملين في الحقل الديني كما يرى سعد الله ، صنفان ، الصنف الأوّل من المتصوّفة و يتشكل كما قلنا سابقا من الإسلام المجاهد ، أي التيار التقليدي المقاوم ، و الإسلام السّكوني ، أي التيار التقليدي المتحالف ، و يعيش هذا الصنف المركّب من أموال عامة المجتمع . أمّا الصنف الثاني ، فإنه يستفيد من أموال الدولة و يمثل رجالات الاتجاه المعتدل من جمهور الفقهاء ، موظفون عند الدولة و يقومون بدور الإفتاء و القضاء و الإمامة و التعليم ، إنهم " النخب الدينية من العلماء " . ، تلقّى هؤلاء العلماء تكوينهم العلمي و المعرفي في مدرسة المستشرقين الفرنسيين حسب رأي أبي القاسم سعد الله . و لما شعر المسؤولون الفرنسيون صعوبة إيجاد العلماء المتعاونين معهم إبان السنوات الأولى التي أعقبت الاحتلال ، بسبب هجرة بعض العلماء الجزائر بعد الاحتلال ، و عدم وثوق الفرنسيين فيهم لأنهم لم يتخرّجوا من مدارسهم ، كانت حاجة المستعمر ملحّة عليه أن يشرع في تكوين نخب من العلماء و المثقفين الجزائريين ، يقفون إلى جانبه و يعملون على إنجاح سياسته .

بعد تأسيس المدارس الفرنسية العربية الثلاث سنة 1850 في الجزائر و اتساع حركة الاستعراب ، بغاية سعي فرنسا إلى ملء المكاتب العربية و إدارات الشؤون الأهلية ، تمّ تخرّج دفعات قليلة من تلك المدارس ، تسلّم أصحابها وظائف دينية و تعليمية كانت شاغرة ، تخصّ الإفتاء و القضاء و التعليم و

(21) أبو القاسم سعد الله ، " الاتجاهات الفكرية و الثقافية للحركة الوطنية الجزائرية " ، مجلة أول نوفمبر ، المرجع السابق ، ص 21

(22) أبو القاسم سعد الله ، الملتقى الوطني الأول لتاريخ الثورة ، 28 . 31 أكتوبر 1981 ، مجلة أول نوفمبر ، العدد 53 ، الجزائر ، ص ص 21 . 22 .

(23) أبو القاسم سعد الله ، " مساهمة بعض المفكرين الجزائريين في اليقظة الإسلامية في القرن التاسع عشر " ، ملتقى الفكر الإسلامي السادس من 24 جويلية إلى 10 أوت 1972 ، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، المجلد الرابع ، مطابع دار البعث ، قسنطينة ، 1973 ، ص ص 106 . 107 .

(24) سعد الله ، نفس المرجع ، ص 22 .

(25) عبد الله ركيبي ، " دراسة مقارنة للتيارات الفكرية قبل الثورة و أثناءها " ، مجلة الأصالة ، عدد 22 ، خاص بالذكرى العشرون لاندلاع الثورة الجزائرية 1954 . 1974 ، منشورات وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر ، ديسمبر 1974 ، ص ص 38 . 49 .

(26) أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي في الجزائر ، المؤسّسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 ، ص ص 118 .